المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 9

جمادى الثاني

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

فضلُ مسقَطِ رأسِهِ وقبيلتِهِ

صلى الله عليه وآله وسلم على غيرها

لقد حوَى سيدُنا ومولانَا رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم الفضائلَ كُلَّهَا، ومنهَا كونُ بلدِهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم أفضَلَ منْ غيرِها، وأحبَّ بلادِ اللهِ تعالى إلى اللهِ، فعَنْ سيدِنا عبدِ الله بنِ عُديٍّ بنِ حَمْراءَ رضي الله عنه قالَ: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً على الحزْورة، فقالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «والله إنكَ لخيرُ أرضٍ، وأحبُّ أرضِ الله إلى الله، ولولا أني أُخرجْتُ منكِ مَا خَرَجْتُ» (رواه الترمذي)، ومِنْ فضْلِهَا: أنْ جعلَهَا اللهُ تعالى حرماً آمِناً، ومَنِ اعتدَى على حُرْمَتِهَا حلَّ بِهِ سخطُ اللهِ تعالى، وباءَ بغضَبِهِ ولعْنَتِهِ، روَى البيهقيُّ في (الشُّعَب) عن أمِّ المؤمنينَ عائشَةَ رضيَ اللهُ تعالى عنها قالت: قالَ سيدُنا ومولانا رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلم: «ستةٌ لعنتُهُمْ وكُلُّ نبيٍّ مجابٍ: المكذِّبُ بقَدَرِ اللهِ، والزائِدُ في كتابِ اللهِ، والمتسلِّطُ بالجبروتِ يذلُّ من أعزَّ اللهُ، ويعزُّ منْ أذلَّ اللهُ، والمستحِلُّ لِحُرَمِ اللهِ، والمستَحِلُّ مِنْ عِترَتِي مَا حَرَّمَ اللهُ، والتَّارِكُ لسنَّتِي»، ومِن فضْلِهَا أنَّ أوَّلَ بقعَةٍ وُضِعَتْ في الأرضِ هِيَ موضِعُ البيتِ، ثُمَّ مُدَّتِ الأرضُ منها مَداً، وإنَّ أوَّلَ الجبالِ وَضَعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ على وَجْهِ الأرْضِ أبُو قُبَيْسٍ، ثُمَّ مُدَّتْ مِنْهُ الجبَالُ، روى البيهَقِيُّ في (الشُّعَبِ) عنْ سيدِنا ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنْهُما قَالَ: قَالَ سيدُنا ومَوْلانَا رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ: «أولُ بقعةٍ وُضِعَتْ في الأرْضِ موضِعُ البيتِ، وإنَّ أوَّلَ جبلٍ وَضَعَهُ اللهُ عَلَى وجهِ الأرضِ أبو قُبَيْسٍ، ثمَّ مُدَّتْ منهُ الجبَالُ»، وحَسْبُكَ أنْ تعلَمَ أنَّ أصحَابَ الفيلِ هلَكُوا بسبَبِ اجترائِهِمْ على قُدْسِيَّةِ البيتِ الحرامِ مَوْطِنِ سيدِنا ومولانا رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فجعَلَ اللهُ تعالى إهلاكَ أصحابِ الفيلِ إرهَاصاً لنبوةِ سيدِنا ومولانا رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم، وذلكَ عَامَ ولادَتِهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم، وكانَ إهلاكُهُم تشريفاً لهُ صلَّى الله عليه وآله وسلم ولبَلَدِه، وإلا فأصْحَابُ الفيلِ كانُوا نصَارى، أَهْلَ كتابٍ، وكانَ دينُهُمْ إذْ ذاكَ أقْربَ حَالاً مِمَّا كانَ عليْهِ أهلُ مكَّةَ، لأنَّ أهلَ مكةَ كانوا

عُبَّادَ أوثانٍ، فنَصرَهُمُ اللهُ تعَالى نصراً لا صُنعَ للبشرِ فيه، وهذَا لِيعلَمَ أهلُ قريشٍ أنَّ نصرَ اللهِ تعالى لَهُم عَلى الحبَشةِ ليسَ لخيرَتِهم علَيهِم، بَل صيانةً للبيتِ العتيقِ الذي نُشَرِّفُهُ ونوقِّرُهُ ببعثَةِ النبيِّ الأمِّيِّ خاتَمِ الأنبياءِ سيدِنا وَمولانا محمَّدٍ صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿ ألم ترَ كيْفَ فَعلَ ربُّكَ بأصْحَابِ الفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كيدَهُمْ فِي تَضْليلٍ، وأَرْسَلَ عليهِمْ طَيراً أَبابيلَ، تَرْمِيهِمْ بحِجَارَةٍ منْ سجِّيلٍ، فجَعَلَهُم كعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾(الفيل)، إنَّ أبرهةَ رأى النَّاسَ يتجَهَّزُونَ أيامَ الموْسِمِ للحَجِّ إلى بيْتِ اللهِ الحرامِ، فَسأَلَ: أينَ يذهبُ الناسُ ؟، فقيلَ لَهُ: يحُجُّونَ إلى بيْتِ اللهِ الحرَامِ بمكَّةَ، قَالَ: مَا هُو ؟، قَالُوا: مِنْ حِجارَةٍ، قَالَ: فَمَا كِسْوَتُهُ ؟، قَالُوا: مَا يأتِي مِن هَاهُنَا مِنَ الوصَائِلِ، قَالَ: والمسيحِ!، لأبْنِيَنَّ لكُم خيراً منْهُ، فبَنَى لَهُمْ كنيسةً هائلةً بصَنْعَاءَ، رفيعَةَ البنَاءِ، مزخْرَفَةَ الأرْجَاءِ، فسَمَّتْهَا العربُ القُلَّيْسَ لارْتِفَاعِهَا؛ لأنَّ الناظِرَ إليها تكادُ تسقُطُ قَلَنْسُوَتُهُ عَنْ رَأسِهِ لارْتِفَاعِ بنَائِهَا، واستَذَلَّ أهْلَ اليَمنِ في بُنْيَانِ هَذهِ الكنيسَةِ، وبنَاهَا بالرُّخَامِ المجزَّعِ، والأبْيَضِ والأحْمرِ، والأصْفَرِ والأسْوَدِ، وحَلاهُ بالذَّهَبِ والفِضَّةِ، وفَصلَ بينَهُمَا بالجوَاهِرِ، وجَعَلَ فيهَا ياقوتةً حمراءَ عظيمةً، ونَصَبَ فيها صُلْبَاناً منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ثمَّ كَتَبَ إلى النجَاشِيِّ: إنِي قدْ بنَيْتُ لَكَ أيُّهَا الْمَلِكُ كنيسةً لَمْ يُبْنَ مثلُهَا لملِكٍ قبلَكَ، ولسْتُ بمُنْتَهٍ حتَّى أصرفَ حَجَّ العَرَبِ إليهَا، فحجَّهُ كثيرٌ مِنْ قبائِلِ العَرَبِ سنينَ وَمَكثَ فيهَا رجالٌ يتعبَّدونَ ويتَأَلَّهُونَ، ونَسكُوا إليْهَا.

قَالَ ابنُ إسحَاقٍ رحمَهُ اللهُ تعَالى: فلَمَّا تحدَّثَتِ العَرَبُ بكتَابِ أبرَهَةَ ذَلِكَ إلى النَّجَاشِيِّ، غَضِبَ رجلٌ مِنَ النَّسأَةِ فخرَجَ إلى القُلَّيْسِ، فقعَدَ فيهَا – أَيْ أحْدَثَ-، ثمَّ خرَجَ فلَحِقَ بأرضِهِ، فأُخْبِرَ بذلِكَ أبرهَةُ فقالَ: مَنْ صنَعَ هذَا ؟، قيلَ: صنعَهُ رجلٌ مِنْ أهْلِ هذا البيْتِ الذي يحُجُّهُ العَرَبُ، فَغضِبَ غَضَباً شَدِيداً، وَحَلَفَ ليسيرَنَّ حتَّى يهْدِمَ الكعْبَةَ وينقُضَها حَجرَاً حَجرَاً، وكتبَ إلى النجاشِيِّ يخْبِرُه ذَلك، ويسْألُهُ أنْ يبعَثَ إليهِ بفيلِهِ، فلمَّا سمعَتِ العربُ ذلك أعظَمُوهُ وفَظِعُوا بهِ، ورأوْا جهَادَهُ حقاً عليهِمْ حينَ سمِعُوا أنَّهُ يريدُ هَدْمَ الكعْبَةِ، وَبعثَ أبرهَةُ حُناطَةَ الحِمْيَرِيَّ إلى مكةَ وقَالَ لهُ: سَلْ عنْ سيِّدِ أهلِ البلدِ وشريفِهِمْ، ثمَّ قَالَ لَهُ: إنَّ الملِكَ يقولُ: إني لم آتِ لحرْبِكُمْ، إنما جئْتُ لهدْمِ هذَا البيْتِ، فإنْ لَمْ تعْرِضُوا لي دُونَهُ بحربٍ فَلا حاجةَ لِي بدمائكُم، فإنْ هُو لَمْ يُرِدْ حَرْبِي فأتِنِي بهِ، فلمَّا دخَلَ حُنَاطَةُ مكةَ يسألُ عنْ سيدِ قريشٍ وشريفِها قيلَ: عبدُ المطلبِ بنُ هاشِمٍ، فجاءهُ فقالَ لهُ ما أمرهُ به أبرهةُ، فقالَ

عبدُ المطلبِ: واللهِ ما نريدُ حرْبَهُ، وما لنا بذلك مِنْ طَاقَةٍ، هذَا بيتُ اللهِ الحرامُ، وبيتُ خليلِهِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ، فإنْ لَمْ يمنعْهُ فهُو بيتُه وحرَمُه، وإنْ يُخلِّ بيني وبينَهُ فواللهِ مَا عندَنَا دفْعٌ عنْهُ، قالَ حُنَاطَةُ: فانطلِقْ إليهِ فإنهُ قَدْ أمَرَني أنْ آتيهِ بكَ، فانطلَقَ مَعَهُ عبدُ المطلبِ، ومعَهُ بعضُ بنيهِ، حتى أتى العَسْكَرَ، وبعْدَ حديثٍ طالَ بينَهُمَا طلبَ مِنْ أبرهة أنْ يَرُدَّ عليهِ مائتيْ بعيرٍ قدْ أصابَهَا لَهُ، فقَالَ أبرَهَةُ لتُرجُمَانِهِ: قُل لَهُ قدْ كنتَ أعجَبْتَني حينَ رأيتُكَ، ثمَّ قَدْ زهِدْتُ فيكَ حينَ كلَّمْتَني في مائتيْ بعيرٍ أصبْتُهَا لكَ، وتَتْرُكُ بيتاً هُوَ دينُكَ ودينُ آبائِكَ جئْتُ لأهْدِمَهُ، لا تكلِّمُني فيهِ!!، فقالَ لهُ عبدُ المطِلبِ: أنا ربُّ الإبلِ، وإنَّ للبيتِ رباً سيمنعُهُ، ثمَّ انصرَفَ عبدُ المطلبِ إلى قريشٍ فأخبرَهُمُ الخبرَ، وأَمرَهُمْ بالخروجِ مِنْ مكَّةَ والتحرُّزِ في شَعَفِ الجبالِ خوفاً عليهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الجيشِ، ثمَّ قامَ عبدُ المطلبِ فأخَذَ بحلَقَةِ بابِ الكعْبَةِ، ومعَهُ نفرٌ منْ قُرَيْشٍ يدعُونَ اللهَ تعالَى، ويستَنْصِرُونَهُ علَى أبْرَهَةَ وجُنْدِهِ، ثُمَّ إنَّ عَبْدَ المطَّلِبِ انطَلَقَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قُريشٍ إلى شَعَفِ الجبالِ، فتحَرَّزُوا فيهَا ينظُرونَ مَا أبرَهَةُ فاعِلٌ بمكةَ إذا دَخلَهَا، فلمَّا أصبَحَ أبرهَةُ استعَدَّ لدُخُولِ مكةَ، وهيأَ فِيلَهُ، وعبَّأَ جيشَهُ، وهُو مُجْمِعٌ لِهَدْمِ البيتِ، فلمَّا وجَّهُوا الفيلَ نَحْوَ الكعْبَةِ بَرَكَ الفيلُ، فضرَبُوهُ بآلةٍ مُعْوَجَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ ليَقُومَ فأبى، فوجَّهُوهُ جِهَةَ اليمَنِ فقَامَ يُهَرْوِلُ، ووَجَّهُوهُ نحوَ الشَّامِ ففَعَلَ مثلَ ذلكَ، ووَجَّهُوهُ نحوَ المشْرِقِ ففعَلَ مثلَ ذلِكَ، ووجهُوهُ إلى جِهَةِ مكَّةَ فبَرَكَ وجعَلَ يعُجُّ عَجاً، فلَمْ يزالُوا يعَالِجُونَ الفِيلَ، حتَّى غَشِيَهُمُ الليلُ، فلَمَّا كانَ السَّحَرُ أرْسَلَ اللهُ تعالى الطيرَ الأبابيلَ مِنَ البحْرِ أمثالَ الخطَاطِيفِ، مَعْ كلِّ طيرٍ ثلاثَةُ أحجَارٍ، حَجَرٌ يحمِلُهُ في مِنْقَارِهِ، وحجَران فِي رجْلَيْهِ، أمثالُ العَدَسِ والحمُّصِ، ثمَّ جاءَتْ حتَّى صَفَّتْ علَى رُؤوسِهِمْ، فألْقَتْ ما في أرْجُلِهَا ومنَاقِيرِهَا، فمَا مِنْ حَجَرٍ وقَعَ عَلَى جنبِ رَجُلٍ إلا خَرَجَ مِنَ الجنْبِ الآخَرِ، وإنْ وَقَعَ على رأسِهِ خرجَ مِنْ دُبُرِهِ، ولا تُصيبُ شيئاً إلا هَشَّمَتْهُ، وأرْسَلَ اللهُ سبحانهُ وتعَالى سَيْلاً عظيماً فاحْتَمَلَ جُثَثَ الحبَشَةِ فألْقَاهُمْ في البَحْرِ، ولما أهلكَ اللهُ تعالى الحَبَشَةَ عَظَّمَتِ العَرَبُ قُرَيشاً، وقَالُوا: أهلُ اللهِ تعالى، قَاتَلَ عنهُم وكَفَاهُمْ مؤونَةَ عدوِّهِمْ، وقَالُوا فِي ذلِكَ أشعَاراً كثيرةً.

لَقدْ رَفَعَ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسَلَّمَ مكانَةَ قُريشٍ ونَهى النَّاسَ عن ذَمِّهَا وَدَعَا لَهَا، وجعَلَ الأمْرَ إليْهِمْ، رَوى مسلِمٌ عَن سيدِنا جابرٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ عن سيدِنا ومولانا رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلمَ قالَ: « النَّاسُ تَبَعٌ لقُريشٍ في الخيرِ والشَّرِّ »، وروى أيضاً بسندِهِ إلى

سيدِنا أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ عن سيدِنا ومولانا رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ قَالَ: ﴿ النَّاسُ تبَعٌ لقُريشٍ في هذَا الشَّأنِ – أي الخلافَةِ–، مُسلِمُهُم تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِم، وكافِرُهُم تَبَعٌ لكافِرِهِم ﴾، فقُريشُ أشرفُ العَربِ نسباً وأزكاهُم حَسَباً، وبَنُو هاشِمِ بنِ عَبدِ منافٍ المصطَفَوْنَ من قرَيشٍ، وسيدُنا ومولانا محمَّدٌ صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ نخبةُ بنِي هاشِمٍ، روَى البخَاريُّ عن سيِّدِنا أبي هريرَةَ رضي الله تعالى عنه أن سيدَنا ومولانا رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: ﴿ بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرونِ بني آدَمٍ قَرْناً فقرناً حتى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الذي كُنْتُ فيهِ ﴾، ورَوَى مسلِمٌ عَن سيدِنا واثلة بنِ الأسْقَعِ رضيَ الله تعالى عنه قال: سمعْتُ سيدَنا ومولانا رسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يقُولُ: ﴿ إنَّ اللهَ اصطفَى كنانَةَ مِنْ ولَدِ إسماعِيلَ، واصطفَى قُرَيْشاً مِنْ كنَانَةْ، واصطَفَى مِنْ قُريشٍ بني هَاشِمٍ، واصطفَاني مِنْ بَني هَاشِمٍ ﴾، فَأَشْرَفُ القَوْمِ قومُهُ، وأشرَفُ القبائِلِ قبيلَتُهُ، وهُوَ صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ صفوَةُ بني هاشِمٍ وسلالَةِ قريشٍ، وأشَرَفُ العَرَبِ وأعزُّهُمْ نَفراً مِنْ قِبَلِ أبيهِ وأمِّهِ عليْهِمَا السَّلامُ، ومِنْ أهْلِ مكَّةَ – أكرمِ بلادِ اللهِ تعَالَى على اللهِ وعَلَى عبادِهِ–، قَالَ تعَالَى: ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجعَلُ رسالَتَهُ ﴾(الأنعام: الآية ١٢٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

من عظماء الإسلام

أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام

اسمها عليها السلام:

هي السيدة المطهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، أبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم واسمه جندب بن هذم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، خير أزواج سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكرمهن لديه.

مولدها ونشأتها عليها السلام:

ولدت عليها السلام بمكة قبل مولد سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة عشر عاماً، ونشأت في بيت شرف ويسار، مات أبوها قبل حرب الفجار، وكانت تسمى عليها السلام في الجاهلية بالطاهرة، وكانت عليها السلام خير نساء قريش حسباً ونسباً، وأكثرهن مالاً وأشدهن جمالاً، لا يبلغ حكمتها ولا يدرك شأوها فيهن أحد.

زواجها عليها السلام:

تزوجت عليها السلام في الجاهلية بأبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي أولاً فولدت له هند وهالة وطاهر، ثم تزوجت بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له جارية يقال لها هند، فلما توفي عنها اشتغلت بالتجارة، فكانت تستأجر الرجال فيما لها تضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، فلما بلغها عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فيما لها إلى الشام تاجراً مع غلام لها يقال له ميسرة، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبله صلى الله عليه وآله وسلم منها وخرج فيما لها ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، فنزل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟، قال: هذا الرجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب:

مانزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبي، ثم باعَ سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد ثم أقبل قافلاً إلى مكة، فلما قدم على خديجة بمالها باعت ما جاء به فتضاعف ربحها، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وكانت السيدة خديجة عليها السلامُ امرأة حازمة لبيبة شريفة مع ما أراد الله بها من كرامتها، فلما أخبرها ميسرة بالأمر بعثت إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت له: "إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك وأمانتك عندهم وحسن خلقك وصدق حديثك"، ثم عرضت عليه نفسها وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً، فلما قالت لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قالت ذكر صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان عمره إذ ذاك خمسة وعشرين عاماً بينما كان عمرها عليها السلام أربعين، فكانت أولى زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم، وهي التي لم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت عليها السلام، ولدت السيدة خديجة عليها السلام لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولده كلهم غير ولده إبراهيم عليه السلام وهم: أسيادنا القاسم وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة، فأما سيدنا القاسم عليه السلام فهو بكر ولده وبه كان يكنى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أول ميت من ولده بمكة، وتوفي عليه السلام صغيراً وهو ابن سنتين، وأما سيدنا عبد الله عليه السلام وكان يقال له الطيب والطاهر،فولد في الإسلام وتوفي بمكة صغيراً، وعلى إثر وفاته عليه السلام تعالت أصوات في قريش تقول: "صار محمد أبتر"، فنزل قول الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾(الكوثر: الآية ٣)، وأما بناته عليهن السلام فآمنَّ به وهاجرن معه صلى الله عليه وآله وسلم.

مكانتها ومواقفها عليها السلام:

كانت السيدة خديجة عليها السلام أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يسمع شيئا يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فَرَّجَ الله تعالى عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتُهَوِّنُ عليه أمر الناس، جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: كان رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب صلى الله عليه وآله وسلم حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: ﴿ لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء ﴾، فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة أبداً، وروى الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً قالت: "ما غِرْتُ عَلى أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلمَ ما غرْتُ على خديجةَ وما بي أن أكونَ أدركتُها وما ذاكَ إلَّا لكَثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها وإن كانَ ليَذبَحُ الشاةَ فيتتبَّعُ بها صدائِق خديجة فيهدِيها لَهن"، وروى الإمام البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ﴿ أَتَى جبرِيلُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ ﴾، وروى الإمام مسلم عن سيدنا الإمام علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ خَيْرُ نِسَائِهَا – أي الجنة– مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ﴾.

وفاتها عليها السلام:

بقيت السيدة خديجة مع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعاً وعشرين سنة، عاشت عذابات المشركين، وعانت منهم الشيء المبين، لكنها مع ذلك أنست طوال حياتها بحب سيد الأولين والآخرين، فبقيت على حال حبها وعطفها، شفقتها وأنسها، إلى أن توفيت عليها السلام قبل الهجرة الشريفة بثلاث سنين وعمرها أربع وستون عاماً، رحلت السيدة عليها السلام عن الدنيا وخلفت حزناً عميقاً في قلب حبيبها سيدِنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فعن سيدنا عبد الله بن عمير رضي الله تعالى عنه قال: ﴿ وُجدَ – أي حزن– رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خديجة حتى خشي عليه ﴾، لم ينسها أبداً، ولم يفارق حبها قلبه يوماً، فعن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: جاءت السيدة خولة بنت حكيم عليها السلام وهي إحدى زوجاته الكريمات عليهن السلام فقالت: يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، فقال صلى الله عليه

وآله وسلم: ﴿ أجل كانت أم العيال وربة البيت ... ﴾، رحم الله أمنا السيدة خديجة عليها السلام وألحقنا بها، وجعلنا من السائرين على خطاها، المهتدين بنورها وهداها، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من أدب الإسلام

آداب الاستئذان والزيارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد ،،،

يقول سيدنا الإمام علي عليه السلام: "إن الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلاً بينه وبينكم، فحسب الرجل أن يتصل من الله تعالى بخُلُقٍ منها"، وهذا لا يكون لولا أن للآداب فضيلة ما أحسنها من فضيلة، ومزية لا تعادلها مزية، فهي زينة كل إنسان، وشرف كل مكان وزمان، بها تصفو القلوب والأرواح، ومن كل كدر تطيب وترتاح، وإننا في هذا المقام نريد أن نذكر أنفسنا بجملة من تلك الآداب الكريمة التي لا غنى لنا عنها في كل وقت وفي كل حال:

١- يعلمنا الشرع الحنيف أنك إذا زرت أحد إخوانك دون موعد، أو على موعد سابق منه، فاعتذر لك عن قبول زيارتك له فاعذره، فإنه أدرى بحال بيته وملابسات شأنه، فقد يكون جدَّ لديه مانعٌ من الموانع الخاصة، أو حصل عنده من الحرج ما لا يسمح له باستقبالك وقتئذ، فله أن يعتذر لك دون تحرج، قال التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى: "ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن لك حاجات، ولهم أشغالاً، وإنهم أولى بالعذر"، وكان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: "ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره"، ولذا كان من أدب السلف عند زيارتهم أن يقول الزائر للمزور: "لعله بدا لك مانع"، تمهيداً لبسط العذر من المزور فيما لو اعتذر.

ولأهمية هذا الأدب، واقتلاع ما قد يعلق ببعض النفوس من جراء الاعتذار، نص الله تعالى عليه في كتابه الكريم، فقال في معرض الزيارة والاستئذان والدخول: ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾(النور: من الآية ٢٨)، وفي هذا الأدب القرآني العظيم مندوحة عما يقع فيه بعضهم حين يُحرج بزيارة من لا يرغب بلقائه، فيضطر إلى الإخبار بعدم وجوده في البيت، ويكون هو فيه، فيقع منه الكذب، ويتعلم صغاره منه ذلك الخلق المكروه أيضاً، وقد ينجم عن سلوكه هذا العداوة

والشحناءُ في الصدور، والهدي القرآني جنبنا الوقوع في ذلك كله، إذ جعل بوسع المزور أن يتلطف بالاعتذار لأخيه، وطلب من أخيه أن يقبل عذره.

٢- وينبغي أن تتخير الوقت الملائم للزيارة، وأن تجلس المدة المناسبة التي تتلاقى مع مقامك عند المزور، ومع الحال التي هو عليها، فلا تطل، ولا تثقل، ولا تأت في وقت غير ملائم لزيارته، كوقت الطعام أو النوم أو الراحة أو السكون، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه (الأذكار) في أواخر (باب في مسائل تتفرع على السلام): "يستحب للمسلم استحباباً متأكداً زيارة الصالحين، والإخوان، والجيران، والأصدقاء، والأقارب، وإكرامهم، وبرهم، وصلتهم، وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم، وينبغي أن تكون زيارته لهم على وجه لا يكرهونه، وفي وقت يرتضونه، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة".

٣- كما ينبه شرعنا الكريم بأنه عندما تستأذن على بيت غيرك لتدخل إليه، حافظ على بصرك من أن يقع على داخل الدار أو عورة فيها، فإن ذلك عيب وإساءة، روى أبو داود والطبراني عن سيدنا سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل فقام على باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن مستقبل الباب، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ هكذا عنك - يعني نحاه وأمره بالتباعد قليلاً عن مواجهة فتحة الباب-، ثم قال له: فإنما الاستئذان من أجل النظر ﴾، وروى البخاري رحمه الله تعالى في (الأدب المفرد) عن سيدنا ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا يحل لامرئ أن ينظر إلى جوف بيتٍ حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل ﴾، أي إن نظر قبل أن يستأذن صار في حكم الداخل بلا استئذان! وهو محرم عليه.

وروى البخاري رحمه الله تعالى أيضاً في "الأدب المفرد"، وأبو داود والترمذي عن سيدِنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:﴿ إذا دخل البصر فلا إذن له ﴾، وروى البخاري أيضاً فيه عن عمار بن سعيد التُجيبي قال: قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "من ملأ عينه من قاعة بيت - أي ساحته وداخله- قبل أن يؤذن له، فقد فسق"، وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: اطلع رجل من جحر - أي ثقب أو خرق- في حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وآله

وسلم مدرى يحكُّ به رأسه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك! - أي توبيخاً له-، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر ﴾.

ومما ينوه له ويحرض عليه شرعنا الكريم أنه إذا دخلت بيت أخيك أو صديقك، وأقعدك فيه، أو أنامك فيه، فلا تتفقده ببصرك تفقد الفاحص الممحص، بل غض بصرك في أثناء قعودك أو منامك فيه، قاصراً نظرك على ما تحتاج إليه فحسب، ولا تفتح مغلقاً من خزانة، أو صندوق، أو محفظة، أو صرة ملفوفة، أو شيء مستور، فإن هذا خلاف أدب الإسلام والأمانة التي خولك بها أخوك أو محبك دخولَ بيته والمقام عنده، فاعرف لزيارتك آدابها، واسلك لحُسن المعاشرة أبوابها، تزدد عند مضيفك حباً وأدباً، والله تعالى يرعاك ويتولاك.

٤- ويحرض شرعنا الإسلامي العظيم أيضاً أنه عندما تزور بيت أخيك - أو تدخل بيتك- كن لطيفاً في مدخلك ومخرجك، غاضاً طرفك وصوتك، واخلع حذاءك في محله، وصُفَّ نعليك أثناء خلعهما، ولا تدعهما هكذا وهكذا، ولا تنس آداب لبس الحذاء وخلعه: تلبس اليمنى أولاً، وتخلع اليسرى أولاً، قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا انتزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى أولهما تُنعل وآخرهما تُنزع ﴾(رواه مسلم)، وقبل الدخول إلى بيتك أو بيت أخيك انظر في نعليك، فإذا رأيت فيهما شيئاً من آثار الطريق فأمطه عنهما، وأدلكهما في الأرض ليتراح عنهما ما علق بهما، فإن الإسلام دين النظافة واللطافة.

٥- ويأمرك الشرع الكريم بأن لا تُنازع مضيفك أو أخاك في المكان الذي يجلسك فيه من منزله، بل لا تجلس إلا حيث يجلسك، فلعلك - إن جلست كما تريد- تجلس إلى مكان فيه إطلال على عورة من عورات الدار، أو فيه إحراج لساكنيها، فعليك بامتثال ما يأمرك به مضيفك، واقبل ما يكرمك به أيضاً، ففي خبر إسلام الصحابي الجليل عَديّ بن حاتم الطائي رضي الله عنه: "أنه قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأكرمه بالجلوس على وسادة، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأرض، قال عَدي: ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة من أُدُم محشوة ليفاً، فقذفها إليَّ - أي مدَّها إليَّ- فقال: ﴿ اجلس على هذه ﴾، قلت: بل أنت فاجلس عليها، قال:﴿ بل أنت ﴾، فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم بالأرض" نقله الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية"، ولا تجلس في مكان صاحب المترل إلا إذا دعاك إلى الجلوس فيه، فقد قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا يَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه - أي مترله ومكان سلطته-، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه ﴾(رواه مسلم)، والتكرمة: الموضع الخاص لجلوس صاحب البيت من فراش أو سرير أو نحوهما، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بالآداب الصالحة المرضية وأن يرزقنا وإياكم الثبات عليها وحسن رعايتها، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من وظائف العام

التوبة وظيفة العمر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، يفتح باب التوبة بالليلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النهارِ، ويفتح باب التوبة بالنهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ الليلِ حتى تطلعَ الشمسُ مِنْ مَغْرِبِها، القائلِ في الحديثِ القُدُسِيِّ: ﴿يا ابنَ آدمَ لو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ ثُمَّ استغفرتَني غَفَرْتُ لَكَ ولا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ إنكَ لو أَتَيْتَني بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشرِكُ بِي شيئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَة﴾(رواهُ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ)، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ عَلَى المبعوثِ رحمةً للعالمينَ سيدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلمَ القائلِ: ﴿إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقْبَلُ توبةَ العبدِ مالَمْ يُغَرْغِرْ﴾(رواهُ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ عن سيدِنا عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي اللهُ تعالى عنهما).

إنَّ نفحاتِ اللهِ في وظائفِ المواسمِ كثيرةٌ جداً، وإنَّ التوبةَ هِيَ وظيفةُ العُمُرِ كلِّهِ، لِذَا وَجَبَ عَلَى العاقلِ أن يُبَادِرَ إليها قبلَ أن ينكشفَ الغِطاءُ ويتحققَ الغيبُ، فإذا كُشِفَ الغِطاءُ وصارَ الغيبُ شهادةً لم يَنْفَعِ الإيمانُ ولم تنفع التوبةُ، فقَبُولُ توبةِ اللهِ عزَّ وجلَّ للعبدِ ما دامَتْ روحُهُ فِي جسدِهِ لم تَبْلُغِ الحُلْقومَ والتراقِيَ، وقَدْ دَلَّ القرآنُ عَلَى مِثْلِ ذلكَ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إنَّمَا التوبةُ علَى اللهِ للذينَ يعملونَ السوءَ بجهالةٍ ثمَّ يتوبونَ من قريبٍ فأُولَئِكَ يتوبُ اللهُ عليهم وكانَ اللهُ عليماً حكيماً﴾(النساء: آية ١٧)، قالَ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ: "والمرادُ مِنْ قَوْلِهِ تعالى ﴿بجهالةٍ﴾: أي الإقدامُ على السوءِ وإنْ عَلِمَ صاحبُهُ أنهُ سوء، فإنَّ كلَّ من عصى اللهَ فهو جاهل، وكلَّ من أطاعَهُ فهو عالمٌ عاقلٌ، وبيانُهُ من وجهين:

أحدُهُمَا: أنَّ من كانَ عالماً باللهِ تعالى وعظمتِهِ وكبريائِهِ وجلالِهِ فإنَّهُ يَهابُهُ ويخشاهُ فلا يقعُ مِنهُ مَعَ استحضارِ ذلكَ عصيانُه، كَمَا قالَ بعضُهم: "لو تَفكَّرَ الناسُ في عظمةِ اللهِ تعالى ما عَصَوْهُ قطّ".

والثاني: أنَّ مَنْ آثرَ المعصيةَ على الطاعةِ فإنَّمَا حَمَلَهُ على ذلِكَ جَهْلُهُ وظَنُّهُ أنَّها تَنْفَعُهُ عاجلاً باسْتِعْجَالِ لَذَّتِها، وإنْ كانَ يَرْجُو التَّخلُّصَ مِن سوءِ عاقِبَتِها بالتوبةِ فِي آخرِ عُمُرِهِ، فإنَّهُ تَعَجَّلَ الإثمَ والخِزْيَ وفَوَّت على نفسه عِزَّ التَّقْوَى وثوابَها ولذهَا، وقدْ يعاجله الموت فلا يَتَمَكَّنُ مِنَ التوبةِ بعدَ ذلك، فهو كجائعٍ أكلَ طعاماً مسموماً لدفعِ جوعِهِ الحاضرِ، ورجَا أن يتخلصَ من ضَرَرِهِ بِشُرْبِ

التِرْيَاقِ بعدَهُ، فَتبَيَّنَ بهذا أنَّ إيثارَ المعصيةِ على الطاعةِ إنما يَحْمِلُ عليه الجهلُ، ولذلِكَ كانَ كلُّ مَنْ عَصَى اللهَ جاهلاً، وكلُّ من أطاعَهُ عالِماً عاقلاً، وكفى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْماً وبالاغْتِرارِ بِهِ جَهْلاً، وأمَّا التوبةُ من قريبٍ: فالجمهورُ على أنَّ المرادَ بها التوبةُ قبلَ الموتِ، فالعمرُ كلُّهُ قريب، فمن تابَ قبلَ أن يُغَرْغِرَ فقدْ تابَ من قريبٍ، وتوبته مقبولة، رُوِيَ عَنِ سيدِنا عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي اللهُ تعالى عنهما في قولِهِ تَعَالَى: ﴿ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾(النساء: من الآية ١٧)، قالَ: "قبلَ المرضِ والموتِ"، فَلَيْسَ مَنْ تابَ وَهُوَ قادرٌ على فعلِ المعاصِي مع إقبالِ الدنيا عليهِ كَمَنْ تابَ فِي حالِ المرضِ أَوْ عِنْدَ موته، وما أجملَ قولَ الشاعر:

تَارَكَـــكَ الـــذنبُ فَتارَكْتَـــهُ بِالفِعْلِ وَالشـــهوةُ في القلـــبِ

فالحمدُ للـــذنبِ علـــى تَرْكِـــه لا لـــكَ في تَرْكِـــكَ لِلـــذَّنْبِ

يروى أنَّ قوماً دخلوا عَلَى سيدنا بِشْرِ الحافِي وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالُوا لَهُ: عَلَى مَاذَا عَزَمْتَ؟، فَقَالَ: عَزَمْتُ أَنِّي إِذَا عُوفِيتُ تُبْتُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: فَهَلَّا تُبْتَ الساعةَ؟، فَقَالَ: "يا أَخِي أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الملوكَ لا تَقبلُ الأمانَ مِمَّن في رِجْلَيْهِ القَيْدُ، وفي رقبَتِهِ الغِلُّ، إنَّما يُقْبَلُ الأمانُ ممن هو راكبُ الفرسِ والسيفُ مُجَرَّدٌ بِيَدِهِ"، فبَكَى القومُ جميعاً.

وقد قالَ المولى عزَّ وجل: ﴿ وليستِ التوبةُ للذين يعملونَ السيئاتِ حتَّى إِذَا حضرَ أحدَهُمُ الموتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الذينَ يموتونَ وهم كفارٌ أولئِكَ أعتدْنَا لهم عذاباً أليماً ﴾(النساء ١٨)، فَسَوَّى سبحانَهُ وتعالى بينَ مَنْ تابَ عندَ الموتِ وَمَنْ ماتَ مِنْ غيرِ تَوْبة، وَاعْلَمْ أنَّ الإنسانَ مَا دامَ يأملُ الحياةَ فإِنَّهُ لا يقطعُ أملَهُ فِي الدنيا، وَقدْ لا تسمحُ نَفسُهُ بالإقلاعِ عن لَذَّاتِها وشهواتِها مِنَ المعاصي وغيرِها، ويُرْجيهِ الشيطانُ بالتوبةِ في آخرِ عُمُرِه، فإذا تَيَقَّنَ الموتَ وأيسَ مِنَ الحياةِ أَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ بِشَهَواتِ الدنيا فَنَدِمَ حِينَئِذٍ عَلَى تَفرِيطِهِ ندامةً يكادُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ منها، وطلبَ الرجعةَ إلى الدنيا ليتوبَ ويعملَ صالحاً فلا يُجَابُ إلى شيءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَتجْتَمِعُ عليهِ سكرةُ الموتِ مَعَ حسرةِ الفَوْتِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ حتى إذا جاءَ أحدَهُمُ الموتُ قالَ ربِّ ارجعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إنها كَلمةٌ هُوَ قَائِلُها وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠)، وَقَالَ أيضاً سبحانه: ﴿ وأَنْفِقُوا مِنْ مَا

رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الموتُ فيقولَ ربِّ لَوْلا أَخَّرْتَني إلى أجلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وَأَكنْ مِنَ الصالحين، ولنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذا جاءَ أجلُها ﴾(المنافقون: الآيات ١٠-١١).

واعلم أن الناسَ في التوبةِ على ثلاثةِ أقسام:

منهم: مَنْ لا يُوَفَّقُ لتوبةٍ نصوحٍ بلْ يُيَسَّرُ لَهُ عَمَلُ السيئاتِ مِنْ أولِ عُمُرِهِ إلى آخرِهِ حتَّى يموتَ مُصِرّاً عليها، وهذا حال الأشقياءِ، وأقبحُ من ذلكَ: مَنْ يُسِّرَ لَهُ في أولِ عُمُرِهِ عملُ الطاعاتِ ثمَّ خُتِمَ لَهُ بِعَمَلٍ سيءٍ حتى ماتَ عليهِ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ﴾(رواه مسلم)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ﴾(رواه البخاري)، ما أصعبَ الانتقال من البصرِ إلى العمى، وأصعبُ منهُ الضلالةُ بعدَ الهدى، والمعصيةُ بعدَ التُّقَى، كَمْ من إنسان شارفَ مركبُهُ ساحلَ النجاةِ فلما همَّ أن يَرْقَى لَعِبَ بِهِ موجُ الهوى فغَرِق، الخلقُ كلُّهم تحتَ هذا الخطرِ، نسأل اللهَ الثبات، وقد قالَ بعضُهم: "ما العجبُ مِمَّن هلكَ كيفَ هلكَ، إنَّما العجبُ مِمَّن نَجَا كيفَ نَجَا".

وقسمٌ يُفني عُمُرَهُ في الغفلةِ والبطالةِ ثمَّ يُوَفَّقُ لعملٍ صالحٍ فيموتُ عليه، وهذِهِ حالةُ مَنْ عَمِلَ بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونُ بينَهُ وبينَها إلا ذِراعٌ فَيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخُلُها، وفي الحديثِ الشريفِ: ﴿ إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً استعمَلَهُ ﴾، قالُوا: وكيفَ يستعمِلُهُ؟، قالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يُوَفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ موتِهِ ﴾(رواهُ الإمامُ أحمدُ)، وهؤلاءِ منهم مَنْ يُوقَظُ قبلَ موتِهِ بمُدَّةٍ يتمكنُ فيها مِنَ التَّزَوُّدِ بعملٍ صالحٍ يَخْتِمُ بِهِ عُمُرَه، ومنهم مَنْ يُوقَظُ عندَ حضورِ الموتِ فيُوَفَّقَ لتوبةٍ نصوحٍ يموتُ عليها، أخرجَ البزارُ عنِ السيدةِ عائشة رضيَ اللهُ تعالى عنها وعن أبيها مرفوعاً: ﴿ إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً بعثَ إليهِ مَلَكاً مِنْ عامِهِ الذي يموتُ فيه فَيُسَدِّدَهُ وَيُيَسِّرَهُ، فإذا كانَ عندَ موتِهِ أتاهُ مَلَكُ الموتِ فقعدَ عندَ رأسِهِ فقال: أيتُها النفسُ المطمئنةُ اخرُجي إلى مَغْفِرَةٍ منَ اللهِ ورضوان، فذلكَ حينَ يُحِبُّ لقاءَ اللهِ ويحبُّ اللهُ لقاءَه، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شراً بعثَ إليهِ شيطاناً مِنْ عامِهِ الذي يموتُ فيه فأغواهُ، فإذا كانَ عندَ موتِهِ أتاهُ ملكُ الموتِ فَقَعَدَ عندَ رأسِهِ فقال: أيتُها النفسُ

الخبيثةُ اخرجي إلى سَخَطٍ من اللهِ وغضب، فتَتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ، فذلكَ حينَ يَبْغَضُ لقاءَ اللهِ ويَبْغَضُ اللهُ لقاءَهُ».

وبقي هاهُنا قسمٌ آخرُ نختمُ به، وهو أشرفُ الأقسامِ وأرفعُها: وهو مَنْ يُفْني عُمُرَهُ في الطاعةِ ثمَّ يُنَبَّهُ على قُرْبِ الأجلِ لِيَجِدَّ في التزودِ، ويتهيأَ للرحيلِ بعملٍ يصلحُ للقاء، ويكونُ خاتمةً للعمل، قالَ سيدُنا عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي اللهُ تعالى عنهما: "لما نَزَلَتْ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وآله وسلم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾(النصر: الآية ١)، نُعِيَتْ لِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلمَ نفسُهُ فأخذَ في أشدِّ ما كانَ اجتهاداً في أمرِ الآخرةِ"(رواه النسائي في السنن الكبرى)، وكانَ من عادتِهِ صلى اللهُ عليه وآلِه وسلمَ أنْ يعتكفَ في كلِّ عامٍ في رمضان عشراً، ويعرضَ القرآنَ على جبريلَ مرةً، فاعتكفَ في ذلك العامِ عشرينَ يوماً، وعرضَ القرآنَ مرتين، وكانَ يقولُ: «لا أرى ذلكَ إلا لاقترابِ أجلِي»(رواه البخاري ومسلم).

وقدْ قالَ لقمانُ لابنِه مُوصِياً: "يا بُنَيَّ لا تُؤَخِّرِ التوبةَ فإنَّ الموتَ يأتِي بغتةً"، وقال بعضُ الحكماء: "لا تكن ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ عملٍ، ويؤخرُ التوبةَ لطولِ الأملِ".

نسأل الله العلي العظيم أن نكون ممن يوفق لحسن العمل في حياته وقرب مماته، وإذا ما لعبت بنا أمواج الهوى أن نعود إلى طريق الحق فيختم لنا به، اللهم آمين يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

قبسات من المجلة الزيتونية

التشريع الإسلامي والمرأة

كثيراً ما فوق المتعصبون من الغربيين سهام الانتقاد على الشريعة بتهمة الإجحاف بحقوق المرأة حتى أثر ذلك على بعض المنتمين إلى الإسلام ممن فتنهم زبرج التمدن الغربي فانصاعوا لأقوال أهله دون تمييز بين السمين والغثيث والطيب والخبيث، وأصبح النساء مثار فتنة من ناحية العدل في التشريع كما كُنَّ وما زلن حبائل فتنة من ناحية العفة والاستقامة.

لهذا آثرنا الحديث على مراعاة الشارع للمرأة في جميع أطوارها وعامة نواحيها حتى يتجلى لذي عينين محاسن هذه الشريعة المباركة فيما تضمنته تعاليمها من مراعاة مصالح النساء.

المرأة في طور الطفولة:

كان الجاهلية يرون أن البنات عبء ثقيل عليهم؛ لأنهن لا يشددن أزر القبيلة ولا يمنعن طوارق الغارات ولا يقوين على القيام بمؤنة الأبوين والأقارب، وهن مع ذلك عرضة لهوان السبي وذلة الفجور وسبب للفاقة، فكان نفورهم منهن عظيماً، وربما طغت وساوس النفور ببعضهم فدفعته إلى وأد بناته تخلصاً من شرهن، وما زالت هذه الكراهة تساور نفوس بعض المسلمين الذين لم يرتاضوا بالآداب الشرعية، وتنتاب قلوب الأجانب عن الدين الإسلامي الذين تعودوا تحمل تكاليف مالية في سبيل تزويج بناتهم، فجاءت الشريعة الإسلامية السمحة بحماية البنت من خطر أثر النفرة، ونهت عن وأد البنات فقال الله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾(الإسراء: الآية ٣١)، ثم بينت ما يوجب استئصال النفرة من النفوس وينبهها من غفلتها بإيقاظ الشعور بما تقوم به البنت من الخدمة الجليلة، وتجلبه من الأنصار بسبب الأختان والأصهار عندما تصير قيِّمة ببيت زوجها فقال الله تعالى في معرض التنبيه على إنعام الله على عبيده: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾(النحل: الآية ٧٢)، أي جعل لكم من جنسكم أزواجاً لتأنسوا بهن وتقيموا بذلك جميع مصالحكم، وجعل لكم من أزواجكم بنين يحمون ظهوركم وبناتٍ يخدمن بيوتكم أتم خدمة، وعبر عن البنات بالحفدة – والحافد: المسرع في الخدمة والطاعة إيذاناً بوجه

المنة، وهذا أحد الأفهام في الآية، وقيل المعنى: جعل لكم من أزواجكم بنين وأعواناً من الأخدان والأنصار، وقيل غير ذلك، و لم تقف الشريعة عند حد إيقاظ التدبر المفضي لتقلص ظل كراهتهن، بل ترقت فبينت أن العوامل التي كانت تدفعهم إلى الكراهة تحمل في مطاويها سعادة الفوز بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب الأليم، فجاء عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ »(رواه مسلم)، والتعبير بالابتلاء لجريان عادة الناس بكراهتهن كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمْ ﴾ (النحل: الآية ٥٨)، ولا يقتضي الحديث أن لا يكُنَّ سِتراً إلا لمن أحسن إليهن على تكرُّه حتى يتقرر كونهن بلية؛ لأن الحديث خرج مخرج الغالب، والمسالك العربية تقتضي إهمال مفهومه، والإحسان الوارد في الحديث لا يختص بناحية معينة، بل يحصل بكلٍّ من أصل الإنفاق والتوسع فيه والتشوير المباح، والتغذية بلبان المعارف والتلقين للأخلاق الفاضلة، والخطاب بلين القول وطلاقة الوجه، واللقاء ببسط جناح العطف والحدب، ولا يلزم من ورود الحديث بسبب الإحسان بالإطعام قصره عليه؛ لأن السبب لا يخصص، وكيف يصح أن يقصر الإحسان على الأمور المادية الخسيسة ولا يتناول الأمور المعنوية النفيسة وقد جاء الحديث الصحيح: « أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ »(رواه البخاري)، فإذا كان لتعليم الولائد وتأديبهن أثر في نمو الأجر فكيف لا يكون لهما أثر في البنات، وجاء الحديث الصحيح: « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ »(رواه مسلم)، يريد رفاقته معه في الجنة، أو السبق إلى دخولها معه، وهذا الفضل لمن قام بالمئونة والكفالة، يستوي فيه من كان البنات له ومن كان البنات لغيره، فهذه أدلة صريحة تحدثك باهتمام الشارع بالبنت قبل استقلالها.

البنت في طور الشباب:

راعت الشريعة ما تحتاجه المرأة من زواج تقتضيه الطبيعة ويتطلبه العمران وتنتظم به المصالح، فأمرت الأولياء بتزويج المرأة ومنعتهم من عضلها، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾(النور: الآية ٣٢)، وقال جل ذكره: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفْ ﴾(البقرة: الآية ٢٣٢)، وسواء أقلنا أن الخطاب للأولياء

كما يدل عليه حديث معقل بن يسار الوارد في الصحيح أم قلنا أن الخطاب للأزواج كما يقتضيه قوله: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ وأن التعبير بالأزواج عن الخطاب باعتبار المآل، فالآية صريحة في النهي عن العضل ممن يمكن حصوله منه، وقد احتاطت الشريعة للمرأة في شأن الزواج فقيدته بقيود تفضي إلى سعادتها وتحفظها من طوارق المؤذيات، ذلك أنها بنَتِ النكاح على ما يثمر الحب ويتقاضاه حسن التدبير، واعتبرت فيه ما يكون أكفل بدوام العشرة وحسن الألفة وأبلغ في حفظ الشرف.

حسن الاختيار واشتراط الولي:

لم تجعل الشريعة للمرأة الإسلامية الاستقلال بإبرام النكاح، بل جعلت اختيار الزوج لها، وأوقفت إبرام العقد على موافقة وليها؛ لأن النساء سريعات الاغترار بالظواهر والانقياد إلى البوارق، فربما اخترن غير الأكْفاء فتجرِّعن مرارة سوء الاختيار وأصاب سوء الاختيار شظاياه أولياءهن، فراعى الشارع مصلحتهن واشترط الولي في النكاح، وحماهن من جور الأولياء فنهاهم عن العضل ومكن المعضولة بغير حق من إدراك بغيتها بإنهاء أمرها إلى الحاكم، حتى إذا تبين له جور الولي تولى الحاكم إبرام العقد إذا لم يمتثل الولي لإبرامه، وهذا نهاية المبالغة في الاحتياط لها، فاشتراط الولي في حق المرأة ليس إجحافاً بحقها كما يتوهمه قصار النظر، بل لتوفية الاختيار حقه من السداد، وأهمل اشتراط الولي في جانب الرجل لإمكان انحلالهم من ربقة النكاح بالطلاق، وقد أدرك المضطلعون الراسخون في معرفة المقاصد الشرعية حكمة حسن اختيار الأزواج وحافظوا عليها، بيد أنهم اختلفوا في طريق الحفظ، فأكثرهم اختار في سبيل حفظها اشتراط الولي لظواهر كثيرة، ولهذا اخترنا بناء الكلام عليه، وبعضهم اختار في طريق حفظها اعتبار الكفاءة، فإذا حافظت المرأة عليها فلا مُتَكَلَّمَ لوليها ولها مباشرة العقد، وإذا أهملتها وأبرمت عقدة النكاح كان للولي نقض غزل هذا النكاح.

الصداق:

احتاطت الشريعة للمرأة فأوجبت الصداق، قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾(النساء: الآية ٤)، وذلك لمعانٍ:

- **الأول:** ما فيه من استهداء نفسها وبذر محبة الرجل في قلبها، والمحبة دعامة الألفة وجناح حسن العشرة، واستمالة النفوس بالإحسان أمر معروف، ويشعر بهذا المعنى وصف الصدقات بأنها نِحلة.

- **الثاني:** ما في الصداق من إدخال السرور عليها بإظهار الرغبة فيها، حيث بذل الزوج في الاقتران بها المال الذي جبلت النفوس على حبه، وإظهار الرغبة في النساء له مكانته من نفوسهن، وفي تحرج – أي حياء– بعض أمهات المؤمنين ممن عرضت نفسها على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنكار بعض بنات الصحابة على من عرضت نفسها من النساء على بعض الفضلاء دليل بيِّن على ذلك.
- **الثالث:** ما في الصداق من دواعي الانقياد إلى سلطان الزوج ونفوذه، الأمر الذي يدعو إلى التوافق بين الزوجين ويمكِّن الزوج من تقويم اعوجاج زوجه وصدِّها عما يغض من شرفها بتطرق الريبة لها كخروجها دون رضاه، والإذن لمن يكره في الدخول إلى بيته، وقد وقع الإفصاح بهذه الحكمة في قول الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(النساء: الآية ٣٤).
- **الرابع:** ما في الصداق من تثبيط الرجال عن الطلاق حتى لا يذهب عليهم ما أعطوه في سبيل الاستحصال على المرأة سدى.

ويزيد الله الذين اهتدَوْا هدًى

المفتي المالكي العلامة الجليل الإمام النظار
شيخ الإسلام سيدي محمد العزيز جعيط
رحمه الله تعالى

علماءُ من غزة

الإمام محمد بن الترجمان الغزي

اسمه ونسبه:

هو الإمام الصالح العالم العارف الزاهد شيخ الصوفية الحافظ المحدِّث أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الترجماني الغزي ثم العسقلاني الترجماني الصوفي، المعروف بابن الترجمان شيخ الصوفية في مصر والشام في زمانه.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى بغزة هاشم عام ثلاث وخمسين وثلاثمائة للهجرة، وسكن عسقلان، وكان شيخ الفقراء والصوفية بها، وقيل لجده الترجمان؛ لأنه كان ترجمان سيف الدولة، وكان صالحاً عفيفاً متواضعاً، محباً للفقراء يخدمهم ويخفف عنهم وينفق عليهم من ماله الذي ورثه عن أبيه، وكان مع ذلك مكثراً من الحديث عدلاً ثقةً في الرواية.

رحلاته:

بدأ رحمه الله تعالى رحلته في طلب العلم قاصداً عسقلان، فسمع بها أبا بكر محمد بن أحمد بن يوسف الخُنْدُري المقرئ، وأبا الحسن علي بن محمد بن يوسف الخُنْدُري، ثم ارتحل إلى دمشق فسمع بها أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسين بن الوليد الكِلابي مُحدِّث دمشق والمعروف بأخي تبوك، ثم ارتحل إلى أطرابلس فسمع بها أبا الحسن علي بن سعيد بن عبد الله العريفي الأطرابلسي، وأبا حفص عمر بن داود بن سلمون، وسافر رحمه الله تعالى إلى بيت المقدس فسمع فيه أبا الحسين أحمد بن محمد بن جعفر النجار، وأبا القاسم عيسى بن عبيد الله بن عبد العزيز الموصلي المصاحفي، وارتحل إلى الرملة فسمع بها أبا الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن النعمان الأنباري، وأبا القاسم عبد الله بن مسعود بن أحمد بن مسعود الرازي وأبا عبد الله بن أبي كامل الأطرابلسي، وسافر إلى منبج – إحدى المدن السورية– فسمع فيها أبا القاسم بكير بن محمد الطرسوسي المعروف بالمنذري، وأبا الحسين محمد بن جعفر بن محمد بن أبي الزبير، وسمع أبا سعد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني الصوفي

الحافظ المعروف بطاووس الفقراء، ثم ارتحل إلى مصر وسمع فيها أبا محمد الحسن بن محمد بن إسماعيل بن محمد الضراب، وأقام فيها شيخاً للصوفية في مصر والشام، ومحدِّثاً يُقبل عليه المريدون من كل قطر، وكان من أبرز تلاميذه الذين حملوا علمه من بعده ورَوَوْا عنه أحاديث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبي، وأبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر اللخمي، وأبو عبد الله القضاعي، وأبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن أبي عقيل الكرجي، وأبو العباس أحمد بن أسد بن أحمد الكرجي الصوفي، وأبو القاسم عبد الباقي بن جامع بن الحسن الدمشقي، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن متوية المروروذي، وسهل بن بشر، وأبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الحسين الصوفي، وأبو نصر محمد بن محمد بن همياه الرامشي المقرئ، وأبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي التاجر، وأبو محمد كامل بن ديسم بن مجاهد العسقلاني، وغيرهم.

مناقبه:

قال الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبي في معجم شيوخه: أبو الحسين بن الترجماني الغزي، شيخ صالح، كان شيخ الفقراء بالشام، خدمهم ستين سنة، وهو بعدُ كان يخدمهم بنفسه، وأنفق جميع ما ورث من أبيه عليهم، وكان جده ترجمان سيف الدولة على ما سمعتهم يذكرون، سمعته يقول: كنت عند أبي جعفر بن سلمون بأطرابلس نازلاً في مسجد فجاء شيوخ عسقلان إلى أطرابلس فسمعوا بي فجاؤا إليّ، فدخل عليه رسولهم فقال ندخل عندك أو تخرج إلى عندنا؟، فقلتُ – أي ابن الترجمان–: أما أنا فليس لي عند، بل أخرج إليكم – تواضعاً لله وقلة نظر إلى ما هو فيه–، وكان على تواضعه ذلك إلى أن رأيناه في أول سنة تسع وثلاثين – أي وأربعمائة–، وكرة أخرى في سنة أربعين في رمضان، وكان ثقة في الرواية، أصول صحاح بخطه، وكانت وفاته بعد سنة أربعين وأربعمائة.

وفاته:

توفي الإمام محمد بن الترجمان رحمه الله تعالى يوم السبت الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة، وكان عمره إذ ذاك خمسة وتسعين عاماً، ودفن بالقرافة عند قبر سيدنا

ذي النون المصري رحمهما الله تعالى وأحسن مثواهما ونفعنا بعلمهما وورعهما وجعلنا من المريدين الصادقين المخلصين، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

بلادنا فلسطين

مدينة عكَّا

الموقع والتسمية:

تقع مدينة عكَّا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، على الرأس الشمالي لخليج حيفا، غربي منطقة الجليل، على بعد ١٧٣ كيلومتراً تقريباً شمالي غربي القدس، وحسب معطيات دائرة الإحصائيات للكيان المحتل للعام ٢٠٠٦ رومي تعيش في عكَّا ٤٦ ألف نسمة تقريباً، ٢٧% منهم من عرب ٤٨ والباقي من اليهود وآخرين، كان أول من شيدها إحدى القبائل الكنعانية العربية المعروفة بالجرشانين في الألف الثالثة قبل الميلاد، وجعلوا منها مركزاً تجارياً ودعوها باسم "عكو" أي الرمل الحار.

تعتبر عكَّا مفتاح فلسطين بسبب موقعها الاستراتيجي، فهي قد بدأت كميناء كنعاني، وعرفت بعد ذلك بصناعة الزجاج والأصبغة الأرجوانية الملوكية، احتلها وحكمها الكثير من الغزاة على مر العصور، واشتهرت بصدها نابليون بونابرت عن أسوارها إبان الحملة الفرنسية، كما ويظهر في أبنية عكَّا فن العمارة الفاطمي والصليبي والعثماني، وتتميز بعمارة جامع الجزار الذي شيد من أعمدة رخامية قديمة، أما المدينة القديمة فقد قام الصليبيون ببنائها.

تاريخ عكا:

تعتبر مدينة عكا من أقدم مدن منطقة فلسطين التاريخية التي توالى عليها الغزاة من العصور القديمة حتى العهد العثماني، فقد قام الإسكندر الأكبر بغزوها خلال القرن الرابع الرومي، ثم بعد الفتح الإسلامي للمدينة سنة ٦٣٧ رومية الموافق لها ١٦ هجرية على يد سيدنا شرحبيل بن حسنة غزاها الفرنج الصليبيون في العام ١١٠٤ رومي، وفي العام ١٢٩١ رومي قام سلطان مصر المملوكي الأشرف خليل بتحريرها من يد الصليبيين الغاصبين وطردهم منها في ما عرف بـــ "فتح عكَّا"، حكمها الشيخ ظاهر العمر الزيداني وأبناؤه خلال القرن الثامن عشر، وهو من بنى أسوار عكَّا الحالية، ثم حكمها السيد أحمد باشا الجزار في نهاية القرن الثامن عشر.

ومما يُذكر لعكَّا وأهلها أنها أوقفت زحف نابليون بونابرت وجيشه الفرنسي الذي وصل إليها بعد أن احتل مصر وساحل فلسطين، فقد حاصرها مدة طويلة، وأمطرها بوابلٍ من قذائف المدافع وزخات الرصاص، واستمر حصاره لها طويلاً وتكبد جيشه خسائر فادحةً في الأرواح والعتاد، وكان نابليون مصمماً على احتلال المدينة حيث أنها كانت المعقل المقاوم الأخير قبل أن يصبح الشرق بأسره تحت سيطرته، ولكن عزيمة وإصرار وشجاعة وإيمان أهل المدينة ومقاومتهم الباسلة وحصانة أسوارهم منعته من ذلك مما اضطره إلى الانسحاب يجر أذيال الخيبة والهزيمة، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يُهزم فيها نابليون على الإطلاق، حيث رمى قبعته من فوق سور عكَّا داخلها وقال على الأقل مرت قبعتي من فوق أسوارك يا عكَّا، لأنه لم يستطع دخولها، ورحل نابليون وهو يقول: تحطمت أحلامي على أسوارك يا عكَّا، سلامٌ عليكِ سلاماً لا لقاء بعده، ثم في الرابع من فبراير لعام ١٩١٨ رومي وقعت عكَّا تحت سطوة الاحتلال البريطاني كسائر فلسطين الحبيبة، ومن الجدير بالذكر أن عكَّا قد أنجبت أحمد الشقيري أحد مؤسسي منظمة التحرير الوطني الفلسطيني وأول رئيس لدولة فلسطين، وأنجبت غسان كنفاني، وسميرة قيصر عزام أميرة كاتبات القصة القصيرة وغيرهم.

أماكن رئيسية وسياحية في عكا:

- اختارت اليونسكو منطقة عكَّا القديمة كموقع تراث عالمي.
- الجدار الشمالي والشرقي الذي بناه ظاهر العمر عام ١٧٥٠ رومي وأكمل الجزار باشا بناءه حتى أنهاه عام ١٨١٤ رومي.
- المسجد الكبير الذي بناه الجزار باشا عام ١٨٠٤ رومي وفيه قبر بانيه أحمد باشا الجزار.
- حمام الباشا التركي وأسوار عكَّا من الجهة الغربية بجانب مدرسة أبو سري.
- سجن عكَّا المعروف بسجن القلعة.

في فترة ما يسمى بالانتداب البريطاني على فلسطين اشتهر سجن عكَّا إثر ثورة البراق، حيث قامت السلطات البريطانية بتنفيذ حكم الإعدام في حق ثلاثة رجال هم: محمد جمجوم، وفؤاد حجازي، وعطا الزير بتاريخ السابع عشر من يونيو عام ١٩٣٠ رومي.

عكّا والاحتلال الصهيوني:

قبل الاحتلال الصهيوني كانت أغلبية سكان عكًّا من العرب المسلمين بينما عاشت فيها طائفة يهودية صغيرة، وبعد حرب عام ١٩٤٨ رومي أصبحت عكًّا مدينة مختلطة أغلبية سكانها من اليهود، ولكن نسبة السكان العرب فيها ما زالت كبيرة، وفي السنوات الأخيرة زاد التوتر بين العرب واليهود في المدينة، وفي التاسع من أكتوبر عام ٢٠٠٨ رومي اندلعت اشتباكات عنيفة بين الطائفتين، أسفرت عن إلحاق أضرارٍ في ممتلكات السكان، دون أي خسائر في الأرواح.

منذ سنوات طويلة خلت وضع الاحتلال الصهيوني مخططاً استيطانياً للسيطرة على البلدة القديمة في عكا، وذلك ضمن سياسة تضييق الخناق على فلسطينيي عكًّا وإجبارهم على ترك أسوار البلدة القديمة وتوطين مستوطنين يهود مكانهم، ويشرف على هذا المشروع شركة "عميدار" (شركة الإسكان الشعبي الصهيوني)، وكذلك ما يدعى بالبلدية اليهودية لمدينة عكًّا وجهات حكومية صهيونية أخرى تعنى بالاستيطان والتهويد، وذلك في محاولة منهم للسيطرة على البلدة وإلغاء طابعها العربي والفلسطيني.

يبلغ عدد سكان عكًّا اليوم ثمانية عشر ألف فلسطيني يشكلون ٣٥% من نسبة السكان، وهذه النسبة في ارتفاع متزايد، وهو ما يقلق سلطات الاحتلال، ولذلك ولمواجهة النمو الديموغرافي لعرب عكًّا أقدمت سلطات الاحتلال على استجلاب المستوطنين العنصريين من مستوطنات قطاع غزة، للاستيطان في عكا، فبدؤوا يثيرون ممارسات استفزازية ضد سكان عكًّا الذين يعيشون مرحلة تصدٍّ دائم لهؤلاء المستوطنين العنصريين وممارساتهم الإجرامية، ويؤكد أحمد عودة عضو مجلس بلدية عكًّا عن (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) أن البلدية والجمعيات الاستيطانية تتبع أسلوباً جديداً لمواجهة الوجود الفلسطيني في مدينة عكا، مبيناً أنَّه وبعد أن شعرت السلطات أنَّ مخططاتها قد فشلت في ترحيل السكان الفلسطينيين لجأت إلى أسلوب جديد يتمثل باستقدام المئات من المستوطنين المسلحين للسكن في مدينة عكا، ويهدف مسؤولو بلدية عكًّا اليهود من خلال ذلك إلى زيادة عدد اليهود في المدينة، إذ يشكل العرب في المدينة نسبة ٣٥% من السكان، وهذه نسبة عالية بنظرهم، ولديهم مخطط لخفض هذه النسبة إلى ١٥%، وهذا جزء من مخطط كبير لتهويد منطقتي الجليل

والنقب الفلسطينيَّتيْن، واللتان لا توجد فيهما أغلبية يهودية (٤٩% من اليهود مقابل ٥١% من العرب).

وفيما تسعى إسرائيل لحرمان العكيين من مصادر العمل مفضلة اليهود عليهم في عملية التوظيف، فإنها تستخدم مختلف المخططات لطمس الهوية العربية للمدينة وتهميش أصحاب الدار، ويظهر ذلك حتى بتسميات الشوارع والساحات للعامة إذ تحول السوق الشعبي إلى "سوق ماركو بولو" والميناء إلى "رصيف الرمبام" وساحة الصيادين إلى "فنيسيا" وساحة الكنيسة إلى "جنوا" وحي الفاخورة إلى "البيزاني"، وساحة الكراكون إلى شارع "الهجناة"، وذلك في محاولة من جانب المحتل لتزوير التاريخ وتزوير الثقافة وخلق حالة من الاغتراب بين الإنسان والمكان مثلما حصل لسائر مدن فلسطين، يافا واللد والرملة وغيرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.